محاضرات الدراسات العليا الماجستير للعام الدراسي ٢٠١٩-٢٠٢٠.

أ.م.د. يوسف سامي فرحان **مادة المشرق العربي الحديث**

أولا – نشأة الدولة العثمانية :

تتفق الروايات على ان سليمان شاه جد السلطان العثماني ارطغرل كان حاكما على ما هان في الفترة التي اجتاحت فيها الروم البلاد العربية فاخذ جيشا كبيرا كان يضم الشراكسة والتركمان لمواجهة الروم لكنه غرق في الفرات ودفن هناك وتفرق جيشه من بعده وتفرق اولادهم واسرهم فقاد ابنه ارطغرل المسيرة من بعده لمن تبقى من الاسر التركمانية – (١) –

ان الرواية الكلاسيكية التي تقول بغرق سليمان شاه جد السلطان ارطغرل بك بحصانه اثناء عبوره الفرات قرب منطقة جابر ،فانه لا يمكن القطع بها ،فمنطقة جابر هذه تقع بين الرقة ومسكنه وهذا المكان ليس بعيده عن المكان الذي سقط فيه قتيلا فاتح الاناضول سلجوق اوغلو سليمان شاه ،كما ان قيليج ارسلان الاول بن سليمان شاه ثاني سلاطين تركيا قد غرق في الخابور رافد دجله في شرق تلك المنطقة اثناء عودته من الموصل ومن الامور المحتملة ان يكون مبعوث كندز الب قد هاجم الايوبيين في حلب وغرق في النهر اثناء ذهابه الى تلك المنطقة .

ان قصة جابر مازالت قصة لا يمكن القطع بها وبصحتها ومن المحتمل ان تكون قصة ملفقة عندئذ تكون عشيرة قايي قد جاءت من اخلاط راسا الى الشمال الشرقي الى ازرنجان التي تبعد عنها ٢٧٠ كم .

وعموما يمكن ان نتوصل الى ان اسم ابي ارطغرل غازي على الارجح هو كندز الب نفسه وان هذا الشخص توفى عام ١٢٣٠ او نحوه وتراس العشيرة من بعده ارطغرل الذي كان يبلغ من العمر ٣٩ عاما .حيث نجده في الشمال اكثر مما نجده في ضفاف الفرات وسوريا .لقد كانت ازرنجان في الشمال ميدانا لأحدى اكبر الحروب في القرون الوسطى لاسيما الجيشان الاخوان التركيان جلال الدين خاقان الترك الذي كان اخر سلطان خوزم – شاهي الذي طرده المغول من اراضي اجداده في تركستان والذي اجتاز حدود تركيه غير مبل بنصيحة السلطان علاء الدين الذي تمكن من دحره .

ويجدر ان نضيف ان علاء الدين الكبير عندما دعا محاربين كثيرين الى الانضمام الى جيش الاناضول كان من بين من سارع بتلبية دعوته ارطغرل وعشيرته قايي مما لا شك فيه ان ارطغرل لم يعامل كأحد الامراء الكبار المرتبطين بالحاكم التركي وبقونية .حيث يبدو ان عدد عشيرته لم يكن كبير جدا ولكن البادشاه السلجوقي منح ارطغرل غازي بك اقطاعا صغيرا جدا لكي يتمكن من صيانه الحدود وهكذا استوطن ارطغرل وعشيرته قايي في القسم الشمالي – الغربي من الاناضول كان ذلك في عام ١٢٣١ م على الارجح .(٢)

وفي رواية اخرى ان ارطغرل كان يقود حوالي مئة اسرة بعد وفاة والده سليمان شاه عائدا الى اراضي العجم وفي طريقه شاهد جيشين يتصارعان في احدى المعارك ،فاعجبه المنظر الحربي كانو من القبائل التي تهوى القتال وسفك الدماء ولما احس ان احد الجيشين بدا يضعف هب لمساعدته مع فرسانه من غير ان يعرفهم فادرك فيما بعد انه تابع للسلطان علاء الدين السلجوقي الذي كافاه بإعطائه عدة مدن واقاليم واصبح عنصرا مهما في جيش علاء الدين يمنحه عقب كل انتصار ارض جديده اغلبها في المستنقعات الواقعة على الحدود مع البيزنطينين فاخذ يوسع املاكه على حساب ممتلكات الدولة البيزنطينية

وبعد وفاة ارطغرل خلفه ولده عثمان الذي نسبت اليه الدولة العثمانية امارتهم صغيرة بالنسبة للأمارات السلجوقية التركية واستطاع عثمان ان يفتح قلعة قره حصار فمنحه السلطان علاء الدين لقب بيك واقطعه الاراضي والقلاع واجاز له ضرب العملة وذكر اسمه في خطبة الجمعة فكان ذلك ايذانا ببداية دولة جديده هي الدولة العثمانية .لذا تبين لنا ان جذور العثمانيين عسكرية منذ اوائل حكمهم ويرى المؤرخون ان قيام الدولة العثمانية في عام ١٢٩٩ م وان نهايتها في عام ١٩٢٢ م ومؤسسها عثمان بن ارطغرل .وقيل ان نهايتها بقيام الدولة التركية الحديثة بقيادة مصطفى كمال اتاتورك ١٩٢٤ م .(٣)

تنامت مكانة الدولة العثمانية في عهد خلفاء اروخان بن عثمان من خلال الامتدادات في الاناضول على حساب البيزنطينيين ،مثل عهد مراد الاول ابن اروخان ثورة الامتداد

العثماني فقد وسع دولته خمسة اضعاف ما كانت عليه في عهد اسلافه فاوصلها الى نهر الدانوب وجهات البوسنة .

وفي عهد بايزيد الاول كان هدف الدولة واضحا وسياستها تقوم على قاعدتين .

١-تصفية الاسر الحاكمة في الاناضول والبلقان.

٢-تاسيس دولة مركزية في تلك الاقاليم .

وفعلا حقق هدفه عبر عمليات سريعة ومذهله كادت ان تؤدي بدولته وذلك حين لجا امراء الدويلات التركمانية الى الاستعانة بتيمورلنك ليعيدوا ما سلبه منهم السلطان العثماني فلبى تيمور لنك دعوتهم فاجتاح اراضي السلطنة وتغلب على السلطان بايزيد في معركة انقره عام ٨٠٤ واسره ،.لكن خلفاءه استطاعوا اعادة ما زعزعته نكبة انقره وخاصة في عهد السلطان محمد الفاتح الذي استطاع فتح القسطنطينية واتخذها عاصمة له تحت اسم استانبول وواجه المجر التي اثبتت خلال العهود السابقة انها العقبة الرئيسية امام التوسع العثماني في اوروبا فتوغل في بلاد الصرب وافتتح مدن عدة وفتح بلاد القرم ودخل في حرب طويلة الامد استمرت ستة عشر عاما مع البندقية واجبرها على التنازل عن بعض مستعمراتها في اليونان وجزر الارخبيل .

ان الدولة العثمانية توسعت على حساب الدولة البيزنطينية .وخاضت سلسلة من الحروب وكان النصر حليفها وغدت من اعظم الدول ولاسيما بعد ان تمكن السلطان محمد الفاتح من انهاء الدولة البيزنطينية عام ١٤٥٣ .(٥)

التوجه العثماني الى الشرق--

نشوء الدولة الصفوية -

يرجع نشوء الدولة الصفوية الى صفي الدين احد زعماء اردبيل الذي اخذ يجمع حوله رهطا من العشائر التركمانية حديثة العهد بالإسلام فتجمعوا حوله وكثر عددهم بمرور الايام خاصة انه ادعى ان نسبه يصل الى الإمام موسى الكاظم **(عليه السلام)** واستمر ابناؤه واحفاده من بعده في توثيق علاقتهم بالقبائل والاتباع اضطر على اثر ذلك حاكم شروان لطرد الجنيد حفيد صفي الدين لما يثيره بين الناس من افكار فلجا الجنيد الى حاكم دولة الشاه البيضاء وعاش هو وابناؤه وحفدته في كنف هذه الدولة بمدينة اردبيل ثم انتقلوا جيلان ووجدوا اتباعهم كثر ومن بين هؤلاء الابناء اسماعيل الذي اصبح يجمع اتباع جده مع العشائر التركمانية واستطاع ان يحصل على مبايعة معظم العشائر له فأطاح باثني عشر اميرا كانوا يحكمون ايران واخضع ايران كلها لسيادته وقامت دعوته على اساس مذهبي وبدا يدير اموره على اساس ان القوة السياسية يجب ان تعتمد على قوة عسكرية واستخدام القوة والعنف واتخذ من المذهب الشيعي مذهبا رسميا

لدولته وكان يلبس جنوده لباسا خاصا يميزهم به هو عباره عن قلنسوة حمراء ذات اثني عشرة ذؤابة واراد مؤسس الدولة الصفوية ان يحقق التجانس بين مختلف العناصر في الهضبة الايرانية وبدا يتوسع بدولته فتجاوزت جيوشه خراسان واذربيجان وديار بكر ومن ثم العراق وفارس وعلى هذا الاساس قامت الدولة الصفوية (الفارسية) وتاخمت حدودها لحدود الدولة العثمانية وكان قيامها قائما على اساس مذهبي ارتضته لنفسها .[٦]

--- اسباب التوجه العثماني الى الشرق .

١-قيام الدولة الصفوية وممارستها الضغط على الدولة العثمانية ومحاولة الشاه اسماعيل بسط سيطرته اذ بدا يؤثر في الامراء العثمانيين انفسهم فاصبح قيامها يهدد كيان الدولة العثمانية مما دفع السلطان سليم الى توجيه نشاطه العسكري الى الشرق والتخلص من الخطر الصفوي.

٢- الغزو الاوربي على البلاد العربية وحركة التوسع التي شملت مختلف ارجاء الكره الارضية وتركزت نقاط الصدام في منطقتين الاولى في الطرف الشمالي الغربي من الساحل الافريقي والمحيط الهندي ولاسيما الغزو البرتقالي الى اقطار المغرب والخليج العربي والبحر الاحمر.

٣-كفاية الدولة العثمانية من التوسع في الاراضي الاوروبية .(٧)

الصراع العثماني – الصفوي .

اولا – معركة جالديران .

تأزمت العلاقات بين الدولتين العثمانية والصفوية بعد ان ظهرت الاخيرة كقوة اصبح لها ثقلها السياسي والديني والعسكري في المنطقة فقد جعل الشاه اسماعيل الصفوي قصره ملجا للامراء العثمانيين المعارضين لسلطة سليم ولم يكتفي بذلك بل اخذ يعد العدة لخوض حرب كان يرى انها واقعة لا محاله وقام بالتحالف مع الخصم الثاني للعثمانيين وهو السلطان المملوكي في مصر فسارع بذلك الى ارسال وفد ضم ٢٠٠ شخص ليلاقي هذه الحرب المتوقعة ودعوته ليتحالف معه ضد السلطان سليم الذي لم يكن غافلا عن هذا وبعد ان حل مشاكله مع اخوته بدا الاعداد لتوجيه ضربة قاضية اليه ،ولكي يتفرغ لحملته هذه عقد صلحا مع جيرانه في اوروبا(٨)، وكذلك قام بالتحالف مع المماليك فالتزموا الحياد وبعد ان اكمل استعداداته العسكرية انطلق على راس جيش جرار ووصل الى وادي جالديران في ٢٣ اب ١٥١٤ م(٩) .وقد عسكر في هضابها واستعد لملاقاة الجيش الصفوي الذي عسكر في مقابل الجيش العثماني والتقى الخصمان في صحراء جالديران ودارت معركة حامية بين الطرفين اسفرت عن انتصار واضح للعثمانيين وجرح الشاه الصفوي في المعركة وفر مع من تبقى معه من الجنود الى المناطق الداخلية في ايران .ووقع الكثير في الاسر كما اسرت احد زوجاته تدعى تاج لي خانم ولم يردها

للسلطان العثماني وانما زوجها الى احد كتابه انتقاما واستولى على تبريز وخزائن الشاه وارسلها الى استانبول .(١٠)

وبعد ان استراح ثمانية ايام قام بجيوشه واخلى تبريز لعدم وجود المئونة الكافية للجيوش بها مقتفيا اثر الشاه اسماعيل حتى وصل الى شاطئ نهر المرسى وعندها امتنع الانكشارية عن التقدم لاشتداد البرد فقفل راجعا الى القسطنطينية وبعد عودته فتحت الجيوش العثمانية مدائن الماردين واوقه والرقة والموصل .(١١)

عندما تولى الشاه طهماسب الحكم بعد وفاة والده اسماعيل ٩٣٠ م لم يغير من سياسته تجاه الدولة العثمانية وزادت العلاقات سوءا بلجوء احد امراء ايران الى الدولة العثمانية يقابله لجوء شرف خان الوالي العثماني الى ايران وظلت قصة الهروب من طرف واللجوء الى الطرف الاخر من الاسباب التي ادت الى تردي الاوضاع بين البلدين .

وكان استيلاء الصفوين على بغداد واستغاثة حاكمها بالسلطان سليمان سببا مباشرا لزحف العثمانيين الى ايران والذي بدا بالرسائل المتبادلة بين الطرفين المهددة وسار الجيش العثماني الى تبريز الا انه لم يلقي الشاه الصفوي ولا بجيشه فتوجه الى بغداد الا ان السلطان اضطر الى العودة الى استانبول لانباء مفادها ان فرديناند ملك النمسا يستعد للهجوم على العثمانين فانتهز طهماسب هذه الفرصة وظهر بجيشه واستعاد تبريز بعد ان فرض سليمان السيطرة عليها مما

دفع الجيش العثماني الى العودة لمواجهته واستمرت الحرب فترة طويلة امدها احدى وعشرون عاما التزم خلالها الجانب الايراني اسلوب الكر والفر وكان يستعيد ما يخليه العثمانيين الا ان العثمانيين رموا بكل ثقلهم على العراق الشرقي واستقر الامر لهم اخيرا وكان هذا مغنما كبيرا لهم وخيبة كبيرة للعدوين الصفوي – البرتغالي من حيث انه اصبح للعثمانين قاعدة بحرية متقدمة في الصرة مكنتهم من توجيه ضربات موجعه للاسطول البرتغالي بحيث اقاموا نفوذهم في منطقة الخليج العربي طيلة خمسين عاما، ومن حيث الاضرار بمصالح الصفويين من حيث عدم قدرتهم على التحالف مع القوى الصليبية في منطقة الخليج العربي بسبب الوجود العثماني فيه(١٢)

ثالثا – المعاهدات العثمانية – الصفوية.

لقد ارتبط العراق بعلاقات سياسية غاية في التعقيد مع الدولة الصفوية ترتب على ذلك عقد الكثير من المعاهدات بين الدولتين اغلبها يتعلق بمسالة الحدود التي تفصل بينهما ومن ابرز هذه المعاهدات هي ...

١– معاهدة اماسيا –١٥٥٤

وهي اول معاهده عقدت بين الدولة الصفوية والدولة العثمانية وبموجب هذه المعاهدة تقرر ان تترك ولاية قارص وقلعتها للدولة العثمانية وتحديد حدود ولاية شهر زور حلا للنزاعات حولها

ومنعا لحدوث اضطرابات على الحدود ،.واصبح العراق في عهد الدولة العثمانية مؤلفا من اربع ولايات (بغداد ،البصرة ،الموصل .،شهرزور)

٢-معاهدة زهاب ١٦٣٩ .

وعرفت كذلك باسم معاهدة مراد باشا ومعاهدة السلام واعتبرت اساسا للمعاهدات التي جاءت بعدها بهدف توزيع مناطق النفوذ وتحديد الحدود بين الدولتين ووقد نظمت موضوع الحدود بين الدولتين على شكل مناطق ام مدن حدودية وبشكل افضل مما جاء في المعاهدات السابقة .على الرغم من أهمية هذه المعاهدة الا انها تفتقر الى ترسيم دقيق لعدم كفاية الخرائط وبعده عن الدقة والمطلوبة كما ان تحديد نقاط الحدود على اساس مناطق النفوذ في المدن والقرى والقلاع في المنطقة وهو امر صعب من وجهة نظر طبوغرافية . فكانت هذه المعاهدة سببا في استمرار التوتر الحدودي بتحديدها تبعية المدن والقرى ولم تحدد تبعية القبائل المنتقلة في ارجاء المنطقة رغم انها حاولت ان تلتزم بمبدأ العشيرة .

٣- معاهدة ارضروم الاولى ١٨٢٣

لقد شملت هذه المعاهدة على بنود كثيرة لتسوية الخلافات بين الدولتين لكن فيما يتعلق بمسالة الحدود، اكدت المعاهدة على بقاء الحدود كما كانت سابقا وفق بنود معاهدة زهاب واهم الملاحظات حول هذه المعاهدة انها جاءت عامة ولم تعالج المشاكل القائمة بدقة خاصة وان

الخلاف بين الطرفين كان اكثر عمقا وحال دون تطبيق بنود المعاهدة المتفق عليها ، خاصة تلك التي لها علاقة بحسن الجوار . وبقيت الكثير من مسائل الحدود معلقة كأقليم عربستان حيث كانت السيادة غير تامة عليه من قبل الدولة العثمانية ، حيث كان لايزال يتمتع بحكم مستقل من قبل القبائل العربية بأمارة الشيخ مزعل ، كما ان الحدود بين المقاطعة الفارسية شسستر وبين ولاية البصرة غير محدودة بشكل تام .

معاهدة ارضروم الثانية ١٨٤٧

بموجب هذه المعاهدة تم وضع الاسس الكفيلة لحل جميع المشاكل الحدودية ومشاكل القبائل ورسمت خط الحدود بين الدولتين العرق وايران . واهم ما يميز هذه المعاهدة انها اول معاهده تنص على تحديد الحدود النهرية ومشاكل التنظيم الملاحي في شط العرب ،وفتحت الباب امام المعاهدات اللاحقة لتناول موضوع الحدود النهرية بشكل اكثر تفصيلا ، كما تم التوقيع على هذه المعاهدة بعد وساطة بريطانية – روسية لمصالحهما في الخليج العربي والجزيرة العربية ،كما لعبت دورا مهما في العلاقات العراقية – الايرانية وحسم النزاع بين الامبراطورية العثمانية والفارسية وكانت فاتحة لتقديم تنازلات مستمرة من قبل الدولة العثمانية لصالح ايران كمكاسب على حساب الاراضي العراقية اما بالنسبة للحدود البرية التي تضمنتها المعاهدة فقد تنازلت الدولة العثمانية عن جميع الاراضي الكائنة في القسم الشرقي لصالح ايران . مما جعل الحدود العراقية الايرانية في هذه المنطقة تبدو مقعرة باتجاه بغداد الى يومن هذا .(١٣)

المصادر

١-اسماعيل ياغي ،الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث ،مكتبة العبيكان ،ط٣ (١٤٢٣ -٢٠٠٢) ، ص ١٠ .

٢-يلماز اوزتونا ،تاريخ الدولة العثمانية ،المجلد الاول ،منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ،تركيا – استانبول ،(١٤٠٨ – ١٩٨٨)،ص٨٥ -٨٧ .

٣-محمد التونجي ،بلاد الشام في العهد العثماني ،ط١ ،(١٤٢٥ ٢٠٠٤) ،دار المعرفة ،ص١٧- ٢١ ،

٤-محمد سهيل طقوش ،تاريخ الدولة الصفوية (في ايران) ،ط١(١٤٣٠ -٢٠٠٩) ،ص٦٧ – ٦٨.

٥-فاضل بيات ،الدولة العثمانية في المجال العثماني ، دراسة تاريخية في الاوضاع الادارية ،ط١ (بيروت -٢٠٠٧)،ص٢٧ .

٦-محمد عبد اللطيف هريري ،الحروب العثمانية الفارسية واثرها في انحسار المد الاسلامي عن اوربا ،دار الهجرة ،القاهرة ،ط١(١٤٠٨ -١٩٨٧) ،ص٤٣ .

٧-محمد عبد اللطيف هريري ،ص٤٨ .

٨-فاضل بيات ،دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني ،دار المدار الاسلامية ،بيروت (٢٠٠٣) ،ص١٧ .

٩-محمد حرب ، العثمانيون في التاريخ والحضارة ، القاهرة (١٩٩٤) ، ص٢٣-٢٤ .

١٠-فاضل بيات ، دراسات في تاريخ العرب ،ص١٧ .

١١محمد فريد بك ،تاريخ الدولة العثمانية العلية ، ت احسان حقي ،دار النفائس ،بيروت ،(١٨١٩) ، ص١٩٠ ١٩١ .

١٢-محمد عبد اللطيف ،الحروب العثمانية ،ص٦٣ .

١٣-سوسن صبيح حمدان ،اثر العلاقات الحدودية بين العراق وايران في اعادة التوزيع الاداري للمدن الحدودية ،مجلة ديالى (٢٠١٠) ،العدد السادس والاربعون ،ص٨١ -٨٢ -٨٤ -٨٥